@ 340 @ إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم ا بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون) ^ أي : قل للمنافقين ، الذين يتربصون بكم الدوائر : أي شيء تربصون بنا ؟ فإنكم لا تربصون بنا ، إلا أمرا ، فيه غاية نفعنا ، وهو إحدى الحسنيين . إما الظفر بالأعداء ، والنصر عليهم ، ونيل الثواب الأخروي والدنيوي . وإما الشهادة التي هي من أعلى درجات الخلق ، وأرفع المنازل عند ا . وأما تربصنا بكم يا معشر المنافقين فنحن نتربص بكم ، أن يصيبكم ا بعذاب من عنده ، لا سبب لنا فيه ، أو بأيدينا ، بأن يسلطنا عليكم فنقتلكم . ^ (فتربصوا) ^ بنا الخير ^ (إنا معكم متربصون) ^ بكم الشر . ^ (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين * وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا با وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون) ^ يقول تعالى مبينا بطلان نفقات المانفقين ، وذاكرا السبب في ذلك : ^ (قل) ! 2 2 ! (أنفقوا طوعا) ! 2 2 ! (أو كرها) ^ على ذلك ، بغير اختياركم . ^ (لن يتقبل منكم) ^ شيء من أعمالكم ^ (إنكم كنتم قوما فاسقين) ^ خارجين عن طاعة ا . ثم بين صفة فسقهم وأعمالهم بقوله : ^ (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا با وبرسوله) ^ والأعمال كلها ، شرط قبولها ، الإيمان ، فهؤلاء ، لا إيمان لهم ، ولا عمل صالح . حتى إن الصلاة ، التي هي أفضل أعمال البدن ، إذا قاموا إليها ، قاموا كسالى ، وقد بين ا ذلك فقال : ^ (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) ^ أي : متثاقلون ، لا يكادون يفعلونها ، من ثقلها عليهم . ^ (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) ^ من غير انشراح الصدر ، وثبات نفس . ففي هذا ، غاية الذم ، لمن فعل مثل فعهم . وأنه ينبغي للعبد ، أن لا يأتي الصلاة ، إلا وهو نشيط البدن ، والقلب إليها . ولا ينفق ، إلا وهو منشرح الصدر ، ثابت القلب ، يرجو ذخرها وثوابها من ا وحده ، ولا يتشبه بالمنافقين . ^ (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد ا ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * ويحلفون با إنهم لمنكم وما هم منكم ول كنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجئا أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون) ^ يقول تعالى : فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم ، فإنه لا غبطة فيها . وأول بركاتها عليهم ، أن قدموها على مراضى ربهم ، وعصوا ا لأجلها : ^ (إنما يريد ا ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) ^ . والمراد بالعذاب هنا ، ما ينالهم من المشقة في تحصيلها ، والسعي الشديد فيذلك ، وهم القلب فيها ، وتعب البدن . فلو قابلت لذاتهم فيها بمشقاتهم ، لم يكن لها نسبة إليها ، فهي لما ألهتم عن ا وذكره

صارت وبالا عليهم ، حتى في الدنيا . ومن وبالها العظيم الخطر ، أن قلوبهم تتعلق بها ، وإرادتهم لا تتعداها فتكون منتهى مطلوبهم ، وغاية مرغوبهم ولا يبقى في قلوبهم للآخرة نصيب ، فيوجب ذلك ، أن ينتقلوا من الدنيا ^ (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) ^ . فأي : عقوبة أعظم من هذه العقوبة ، الموجبة للشقاء الدائم ، والحسرة الملازمة . ^ (ويحلفون با إنهم لمنكم ، وما هم منكم ولكنهم) ^ قصدهم في حلفهم هذا أنهم ^ (قوم يفرقون) ^ أي : يخافون الدوائر ، وليس في قلوبهم شجاعة تحملهم على أن يبينوا أحوالهم . فيخافون إن أظهروا حالهم منكم ، ويخافون أن تتبرأوا منهم ، فيتخطفهم الناس من كل جانب . وأما حال قوى القلب ، ثابت الجنان ، فإنه يحمله ذلك ، على بيان حاله ، حسنة كانت أو سيئة . ولكن المنافقين خلع عليهم خلعة الجبن ، وحلوا بحلية الكذب . ثم ذكر شدة جبنهم فقال : ^ (لو يجدون ملجأ) ^ يلجأون إليه عندما تنزل بهم الشدائد . ^ (أو مغارات) ^ يدخلونها ، فيستقرون فيها ^ (أو مدخلا) ^ أي : محلا يدخلونه فيتحصنون فيه ^ (لولوا إليه وهم يجمحون) ^ أي : يسرعون ويهرعون . فليس لهم ملكة ، يقتدرون بها على الثبات . ^ (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون * ولو أنهم رضوا مآ آتاهم ا ورسوله وقالوا حسبنا ا سيؤتينا ا من فضله ورسوله إنآ إلى ا راغبون) ^ أي : ومن هؤلاء المافقين ، من يعيبك في قسمة الصدقات ، وينتقد عليك فيها . وليس انتقادهم فيها وعيبهم ، لقصد صحيح ، ولا لرأي رجيح ، وإنم مقصودهم أن يعطوا منها . ^ (فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها ، إذا هم يسخطون) ^ وهذه حالة ، لا ينبغي للعبد أن يكون رضاه وغضبه ، تابعا لهوى نفسه الدنيوي ، وغرضه الفاسد . بل الذي ينبغي ، أن يكون لمرضاة ربه ، كما قال النبي صلى ا عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) . وقال هنا : ^ (ولو أنهم رضوا ما آتاهم ا ورسوله) ^ أي : أعطاهم من قليل وكثير . ^ (وقالوا حسبنا ا) ^